* واغْفِرْ لِمُنْشِدِهَا عليَّ ذَنْبَهُ *

وانقطع الحاجُّ هذه السنة أيضاً من الشَّام ومِصْر.

و[١] فيها توفي البهاء ابنُ الحنبلي[٢] ـ أخو النَّاصح[٣] والشِّهاب[٤] ـ وهو الأكبر، ولد سنة[٥]، وأخوه النَّاصح بعده بتسع سنين، والشِّهاب بعد الناصح بتسع سنين، ومات الشِّهاب سنة تسع عشرة وست مئة في ربيع الأول[١].

ثم دخلت سنة سبع وعشرين وست مئة

في خلافة المستنصر بالله أبي جعفر المنصور بن الظَّاهر بن النَّاصر، وسُلْطان دمشق الأشرف أبو الفَتْح موسى بن العادل بن أيوب.

ففي ليلة الجمعة سادس عشر صَفَر توفي الشَّيخ أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشَّافعي، المعروف بزين الأمناء ابن عساكر[٦]، رحمه الله.

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) له ترجمة في التكملة للمنذري: ٣/ ٢٥٣، تاريخ الإسلام (ت ٣٣٧، وفيات ٦٢٦هـ)، سير أعلام النبلاء: ٨/٢٣، ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ١٧٤، المنهج الأحمد: ٤/ ١٩٠، شذرات الذهب: ٥/ ١١٩.

(٣) ستأتي ترجمته في وفيات (٦٣٤هـ)، ص ٣٦ من هذا الجزء.

(٤) سلفت ترجمته في وفيات (٦١٩هـ)، ص ٣٥٣ من الجزء الأول، وسيأتي ذكره ص٣٧ من هذا الجزء.

(٥) بيض أبو شامة لسنة ولادة البهاء في الأصل، ولم يسدَّها، وهي في رجب سنة تسع وأربعين وخمس مئة فيما ذكر المنذري في «التكملة»، وفي (ك) و(ع) ولد هو وأخوه بعده الناصح، بعده بتسع سنين، وفي (س): والشهاب وهو الأكبر، والناصح بعده بتسع سنين.

(٦) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٢٧هـ)، التكملة للمنذري: ٣/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩، تكملة إكمال الإكمال: ٢١٩ ـ ٢٢٠، تاريخ الإسلام (ت ٣٩٥، وفيات ٦٢٧هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٦، العبر للذهبي: ٥/ ١٠٨، الوافي بالوفيات: ١٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ١٤١ ـ ١٤٢، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٢٢٠، البداية والنهاية (وفيات ٦٢٧هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٧٣، شذرات الذهب: ٥/ ١٢٣.

وكان[١] شيخاً صالحاً، كثيرَ الصَّلاة والذِّكر[١]، وعَمَّر ثلاثاً وثمانين سنة إلا شهراً وأربعة عَشَرَ يوماً؛ لأني رأيتُ بخطِّه أنَّ مولده سَلْخ ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسة مئة، وكان له رواياتٌ كثيرة لكتب الحديثِ وغيرِها عن عَمَّيه: الحافظ أبي القاسم علي، والصَّائن أبي الحسين هبة الله ابني الحسن، وأُمُّه أسماء بنتُ أبي البركات محمد بن الحسن بن الرَّان، خالة محيي الدِّين القاضي، ولم يزلِ النَّاسُ ينتفعون عليه بالسَّماعات حتى توفي.

وكان قد أُقعد في آخر عمره، فكان يحمل في مِحَفَّة إلى الجامع، وإلى دار الحديث التي أنشأها نور الدِّين بن زنكي رحمه الله، ليُسْمَعَ عليه.

أجاز لي جميعَ ما يرويه، وسمعتُ عليه طائفةً من كُتُبِ الحديث، ودُفِنَ ـ رحمه الله ـ عند قبر أخيه الفقيه المفتي أبي منصور عبد الرحمن بن محمد، المعروف بالفَخْر ابن عساكر بالشَّرف القِبْلي ظاهر دمشق، واجتمع في جنازته خَلْقٌ كثير، حَضَرْتُ دفنه والصَّلاةَ عليه، رحمه الله.

وفيها في شهر ربيع الآخر تسلَّم الأشرف بن العادل بن أيوب قلعة بَعْلَبَك من ابن عمه بَهْرام شاه بن فَرُّخْشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وقد كان حصارُها قد طال، ثم رحل الأشرف إلى بلاد الشرق، واستخلف على دمشق[٢] أخاه الصَّالح إسماعيل بن أبي بكر بن أيوب.

وفيها في حادي عشر جُمادى الأولى توفي الشيخ بَيْرَم المارديني، صلَّيتُ عليه بجامع دمشق[٢]، وخرجتُ في جِنازته إلى الجبل، فَدُفِنَ شرقي مقبرة ابن ١٥٩
شيث على تلٍّ هناك.

وكان شيخاً صالحاً، محباً للعُزْلة والانفراد، صابراً على الفَقْر والجوع،

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في الأصل.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب)، وقد استدركت في هامشها، وربما لم تظهر في التصوير، والله أعلم.

كثيرَ الصَّوْمِ والمجاهدة، وكان مقيماً بالزَّاوية الغربية بجامع دمشق، المعروفة بزاوية الدَّوْلعي، وتعرف قبله بزاوية القُطْب النَّيْسابوري، وقبله بزاوية الشيخ نصر المقدسي. واسمه بَيرم ـ أوله باء معجمة بواحدة من تحتها وهي مفتوحة، وبعدها ياء ساكنة معجمة باثنتين من تحتها، وبعدها راء مفتوحة.

وفي جمادى الآخرة جاءنا الخبر بأنَّ ابن خوارزم شاه مَلَكَ بلاد إخلاط واستولى عليها، وقتل كثيراً من أهلها.

وجاءنا الخبر بأنَّ الفرنج ـ خذلهم الله ـ استولوا على جزيرة مابرقة، وقتلوا خَلْقاً كثيراً، وأسروا كذلك، وقَدِموا ببعض الأسرى إلى ساحل الشَّام، فاستفكَّ المسلمون منهم طائفة، فقدموا علينا دمشق، فأخبرونا بما جرى عليهم.

وفي آخر شعبان حوَّط أحمدُ بنُ عبد الرحيم بن علي بن الحسن بن الحسن بن أحمد البَيْساني، المعروف بابن القاضي الفاضل درابزيناً شمالي بِرْكة الكلَّاسة شمالي جامع دمشق، وجعل داخله مكاناً يُقرأ فيه القرآن والسُّنَّة، ووَقَفَ خزانة كُتُب في المقصورة التي تليها التي أنشأها والده[1]، ثم خرب ذلك مع المقصورة، وأضيفت إلى المسجد لما بنيت التُّربة الأشرفية، وبقي ذلك المكان يقرأ فيه الحديث، وفيه خزائن كتب.[1]

وفي سابع عشر شوَّال جاء كتابُ الأشرف بن العادل بن أيوب بأنه التقى الخُوارَزْمي وكسره، وذلك في أواخر رمضان، وقد كان الخوارزمي قد استولى على بلاد خِلاط، فسار الأشرف من دمشق، واتَّفق هو وملك الرُّوم على لقائه، فجمعوا العساكر، والتقوا معه، فالتقى الجمعان للقتال يوم السبت ثامن عشر رمضان[2]، وانكسرتِ الخوارزمية، ووقع منهم في وادٍ خَلْقٌ، فهلكوا، وهبَّتْ

(١ ـ ١) ما بينهما ليس في (ب).

(٢) في (ب) و(ك) و(ع) و(س) زيادة، وهي: وذكر شيخنا ابن الأثير في تاريخه [الكامل: ١٢/ ٤٨٩] أن ذلك كان في الثامن والعشرين. =

عليهم رياح، ونُهبوا وأُخذوا وتُتُبِّعوا إلى يوم عيد الفطر، وانبثَّتِ البشائر في البلاد، لأنَّ هذا الخوارزمي كان لا يأخذ بلداً إلا قَتَلَ أهله، وسبى الأموال، وفسقوا بنسائهم وأولادهم. وقد كان الأشرف قد رأى قبل الكسرة النَّبيَّ ﷺ في المنام، فوعده بالنَّصْر عليهم، وقال: يا موسى، أنتَ منصور عليهم، أو مُظفَّر بهم. أو كما قال رسول الله ﷺ.

ثم سار الأشرف، فاستردَّ بلاد خِلاط، وأوغل في طلب الخوارزمي في بلاده، ثم رَجَعَ.

وانقطع الحاجُّ هذه السنة أيضاً من الشَّام، فصارت ثلاث سنين متوالية لانقطاع الحاجِّ من الشَّام.

ثم دخلت سنة ثمانٍ وعشرين وست مئة

في خلافة المستنصر أبي جعفر بن الظاهر بن الناصر، وسلطان دمشق الأشرف بن العادل بن أيوب، ونائبه فيها أخوه الصَّالح بن العادل.

ففي أولها أُحدثت الإمامة للصَّلوات الخمس بمشهد أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ شرقي جامع دمشق، جُعِلَ له إمامٌ راتب.

وفيها ظهر الغلاء بالدِّيار المِصْرية، فإنَّ نيلها نَقَصَ في شوَّال سنة سبعٍ وعشرين، وهو الموافق لشهر مَسْرى من شهورِ القِبْط.

وفيها في صَفَر توفي الحكيم مهذَّب الدِّين، عبدُ الرَّحيم بن علي بن حامد، المعروف بالدَّخْوار[1]، شيخ الأطباء بدمشق في زمانه، وهو الذي وَقَفَ داره

= قلت: وهذه الزيادة تؤيد ما ذهبنا إليه من أن هذه الزيادات ليست من أبي شامة، وانظر حاشيتنا رقم ٣ ص ٥٩ من الجزء الأول.

(١) له ترجمة في مرآة الزمان (وفيات ٦٢٨هـ)، عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة: ٧٢٨ ـ ٧٣٦، تاريخ الإسلام (ت ٣١٧، وفيات ٦٢٨ هـ)، سير أعلام النبلاء: ٢٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧، العبر للذهبي: ٥/ ١١١ ـ ١١٢، فوات الوفيات: ٢/ ٣١٥ ـ ٣١٨، الوافي بالوفيات: ١٨/ ٣٨٣ ـ ٣٨٦، (وفيهما وفاته ٦٢٧هـ)، البداية والنهاية (وفيات ٦٢٨هـ)، النجوم الزاهرة: ٦/ ٢٧٧، =